جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الدراسات العليا / الدكتوراه / أصول الدين

المادة : العقيدة

المرحلة : الدكتوراه / أصول الدين

اسم التدريسي: أ.د. سعد فتح الله عمر حسين

المحاضرة التاسعة: اهل الجنة ونعيمهم واهل النار وعذابهم

عني القرآن الكريم بمشاهد القيامة، كالبعث والحساب، والنعيم والعذاب،فلم يعد ذلك العالم الاخر الذي وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر موصوفا فحسب، بل عاد مصورا محسوسا وحيا متحركا وبارزا شاخصا، وعاش المسلمون مع هذا العالم الاخر عيشة كاملة في شعورهم ووجدانهم، رأوا مشاهدة وتاثروا بها وخفقت قلوبهم واقشعرت جلودهم تارة، وسرى في نفوسهم الفزع مرة وعاودهم الاطمئنان اخرى ولفحهم من النار شواظ، ورف اليهم من الجنة نسيم، وبعد ان وصف الله تعالى عقاب المكذبين بالساعة قارن بينه وبين ثواب المؤمنين المتقين، بما يؤكد الحسرة والندامة ، فقال لرسوله ﷺ :-

(قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا*لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا)[1].

(اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا).[2]

اولا : **جزاء المتقين الجنة**

(قل أذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا* لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا)

لما بين الباري عز وجل جزاء الظالمين الكفرة، ناسب ان يذكر جزاء المتقين، فقال عز وجل (قل أذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون) أي- قل لهم يا محمد ﷺ على سبيل التقريع والتهكم، أذلك السعير خير ام جنة الخلود التي وعدها المتقون؟[3]

فهذه الاية الكريمة ذكرت الجنة والنار، ولكنها لم تفصلها،بل ذكرتها فقط، وكان لهذا الذكر واقع خاص ملموس، بحيث جعلت ابن ادم في هذه الدنيا على المحك، وجعلته هو المسؤول الوحيد الذي يختار مصيره،حين عرضت عليه الصورة واضحة، وارادت منه ان يختار الطريق؟

فكيف يا ترى يختار ابن آدم الطريق؟ وهل من المعقول اختيار الشقاوة على السعادة ؟او النار على الجنة؟

---

[1] الفرقان: الايتان ١٥-١٦.

[2] الفرقان: الاية ٢٤.

[3] الاستفهام في الاية الكريمة جاء للتهكم،بحيث لا شبهة في كون الجنة خير وافضل.ينظر: التحرير والتنوير –لابن عاشور ٣٣٥/١٨.

وان الجواب على هذا السؤال- باقي بيد ابن ادم وحده، فهو الذي يمكنه ان يختار الطريق الذي يوصله الى اخر الامرين..

يقول ابن كثير(يقول الله تعالى يا محمد :-هذا الذي وصفناه لك من حال الاشقياء الذين تتلقاهم جهنم بوجه عبوس وتغيظ وزفير، ويلقون في اماكنها الضيقة مقرنين لا يستطيعون حراكا ولا فكاكا مما هم فيه ، أهذا خير ام جنة الخلد التي وعدها الله المتقين من عباده).[٤]

ويقول الامام الفخر الرازي: (فإن قيل كيف يقال العذاب خير ام جنة الخلد؟ وهل يجوز ان يقول العاقل: السكر احلى ام الصبر)؟

ويضيف قائلا:- (هذا يحسن في معرض التقريع كما اذا اعطى السيد عبده مالا فتمرد وابى واستكبر فيضرب به ضربا وجيعا ويقول على سبيل التوبيخ: أهذا اطيب ام ذاك).[٥]

فعلى هذا لا مجال اصلا للمقارنة بين عذاب النار ونعيم الجنة،فلا خير في النار، وهذا تنبيه على التفاوت بين المنزلتين، وهذه رحمة من الله تعالى..

و (جنة الخلد) هي التي لا ينقطع نعيمها، والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور، فهو اشعار بدوام نعيمها وعدم انقطاعه.[٦]

وقوله تعالى (كانت لهم جزاء ومصيرا) أي كانت لهم ثوابا ومرجعا،لانه الجزاء: هو الغناء والكفاية ،ان خيرا فخير، وان شرا فشر، كما في وقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا)،[٧] وقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها)[٨] [٩]

والمصير: من صار، وجمعه مصران، وهو مستقر الطعام. [١٠]فالمعنى يكون : أي جزاء من الله تعالى للمؤمنين على اعمالهم بالوعد، ومصيرا ينقلبون اليه، كما قال تعالى (نعم الثواب وحسنت مرتفقا).[١١]

---

[٤]تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٣٠٣/٣.

[٥]التفسير الكبير-للرازي ٥٧/٢٤.

[٦]ينظر:ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم –لابي مسعود العمادي ،٨٢/٤٠ وتفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير-لمحمد الشوكاني ،٦٢/٤٠.

[٧]الانسان: الاية ١٢.

[٨]الشورى: الاية ٤.

[٩]ينظر: المفبردات في غريب القرآن-لراغب الاصفهاني،ص٩٣.

[١٠]ينظر: المعجم الوسيط: اخرجه ابراهيم مصطفى واحمد الزيات وحامد عبد القادرومحمد النجار ٨٨٠/٢.

[١١]الكهف: الاية ٣١.

وقوله تعالى (لهم فيها ما يشاءون خالدين)

للمتقين في جنة الخلد ما يشاءون وما يشتهون من الملاذ في الاكل والشرب والملبس والمسكن والمركب والمنظر، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر،وهم في النعيم خالدون ابدا ،دائما،بلا انقطاع،ولا زوال،ولا يبغون عنها حولا.

يقول الامام الالوسي: "كل فريق منهم يقتنع بما ابيح له من درجات النعيم، ويرى ما هو فيه الذ الاشياء ولا تمتد اعناقهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية ،ولا يخطر بباله ما يخطر طلبه ولا يتاتى له،فلا يشاء آحاد المؤمنين رتبة الانبياء عليهم السلام،ولا يتعرضون للشفاعة لمن كتبت عليه الخلود في النار مثلا، فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان، وعلى ضد هؤلاء فيما ذكر اهل النار، فقد قال سبحانه فيهم: (وحيل بينهم وبين ما يشتهون)[١٢] "[١٣]

و (خالدون) أي ماكثين فيها ابدا،لانه خلودهم في الثواب كخلود اهل النار في العقاب.[١٤]

فعلى هذا للمؤمنين: ما يطلبون من اماني ومشيئة، من المطاعم والمشارب اللذيذة والملابس الفاخرة، كما في قوله تعالى (يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون*وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون*لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون)[١٥]،وقوله تعالى (اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب وفضة ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفعا).[١٦]والنساء الجميلات ،والقصور العاليات، والجنات والحدائق والفواكه التي تسر ناظريها وآكليها،من حسنها وتنوعها وكثرة اصنافها،كما في قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام).[١٧]وقوله تعالى

---

[١٢]سبأ: الاية ٥٤.

[١٣]روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للالوسي ٢٤٦/١٨.

[١٤]ينظر: النكت والعيون-لعلي الماوردي ١٥١/٣.

[١٥]الزخرف: الايات ٧١-٧٣.

[١٦]الكهف: الاية ٣١.

[١٧]الرحمن: الاية ٧٢.

(وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون)[١٨]،وقوله تعالى (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا)[١٩]، والانهار التي تجري في رياض الجنة وبساتينها،حيث شاءوا يصرفونها ويفجرونها انهارا من ماء غير آسن،وانهارا من لبن لم يتغير طعمه،ونهارا من خمرة لذة الشاربين وانهارا من عسل مصفى، وروائح طيبة ومساكن مزخرفة، واصوات شجية تأخذ من حسنها بالقلوب، ومزاورة الاخوان والتمتع بلقاء الاحباب، كما في قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمرة لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم).[٢٠]

واعلى من ذلك كله،التمتع بالنظر الى وجه الرب الرحيم وسماع كلامه والحظور بقربه والسعادة برضاه،والامن من سخطه، واستمرار هذا النعيم ودوامه، وزيادته على ممر الاوقات ، كما قال تعالى (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قترا ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون).[٢١]وقوله تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم).[٢٢][٢٣]

ثم يجب على كل مسلم ومسلمة ان يعتقدوا ان الجنة والنار مخلوقتان وموجدتان الان، وانهما مخفيتان، كما في قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون)[٢٤]وآيات كثيرة تبين انهما معدة وموجودة.[٢٥]

---

[١٨]الصافات: الايتان ٤٨-٤٩.

[١٩]الانسان: الاية ١٤.

[٢٠]محمد: الاية ١٥.

[٢١]يونس: الايتان ٢٥-٢٦.

[٢٢]التوبة: الاية ٧٢.

[٢٣]ينظر: روح الدين الاسلامي-لعفيف طبارة،ص١٢٦،وتيسير الكريم الرحمن-لعبد الرحمن السعدي،ص٧٩١.

[٢٤]السجدة: الاية ١٧.

[٢٥]ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول في التوحيد –للشيخ حافظ بن احمد الحكمي ٨٦٠/٢،ط٣،دار ابن القيم للتوزيع والنشر-المملكة العربية السعودية-١٩٩٣م.

وهذا دليل على تحقيق جميع الرغبات، ووعد من الله تعالى الذي تفضل به عليهم،واحسن به اليهم، لهذا قال تعالى (كان على ربك وعدا مسؤولا) أي لابد ان يقع وان يكون وعدا واجبا،وموعودا به، جديرا بان يسأل او يطلب ، وينجز.[٢٦]

وقد وعد الله تعالى المؤمنين الجنة جزاء على اعمالهم،ووعده حق وصدق ومنجز لا محالة،فسألوه ذلك الوعد، وقالوا (ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد)[٢٧]، وقوله سبحانه وتعالى (ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار)،[٢٨]واضافة الى ذكر ان الملائكة تسأل لهم الجنة ، كما قال تعالى (ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم).[٢٩]

قال زيد بن اسلم :" سألوا الله الجنة في الدنيا،ورغبوا اليه بالدعاء، فاجابهم في الاخرة الى ما سالوا واعطاهم ما طلبوا".[٣٠]

وبعد كل ما ذكر يتضح لنا- ان الباري عز وجل اوضح الحق، واستنار السبيل، فلم يبق للمفرط عذر في تركه الدليل، فنرجوك يا من قضيت على اقوام بالشقاء، واقوام بالسعادة، ان تجعلنا ممن كتبت الحسنى وزيادة،ونستعيذ بك اللهم، من حالة الاشقياء،ونسألك المعافاة فيها...

ثانيا: اراد الله تعالى الخير لابن ادم

في قوله تعالى (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا).

لما اراد الله تعالى الخير لابن ادم اراد له عيشة هنية، وميتة سوية،ومردا غير مخز ولا فاضح ،فقال عز وجل (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا) أي- اصحاب الجنة في مكان مستقر ومآوى ثابت، ومنزل حسن مريح طيب الاقامة،على النقيض من حال اهل النار، فقوله تعالى (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا) كقوله: (قل أذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون) التقريع والتوبيخ، وانما قال: (خير) ولا خير في النار والعذاب:بالنظر الى التفاوت بين منزلتي الجنة والنار،وهما من المنازل. اما من حيث

---

[٢٦] ينظر: الجامع لاحكام القرآن-القرطبي ٩/١٣،والبحر المحيط-للاندلسي ٤٨٦/٦.

[٢٧] آل عمران: الاية ١٩٤.

[٢٨] البقرة: الاية ٢٠١.

[٢٩] غافر: الاية ٨.

[٣٠] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-د. وهبة الزحيلي ٣٥/١٩.

الواقع فان (خير) هنا ليس للمفاضلة التي تفهم من صيغة افعل التفضيل،وانما لتقرير ان الجنة هي الخير المحض والحسن المطلق،ولا خير اصلا في ضدها وهي النار.[٣١]

والمعنى ان حال اهل الجنة خير مأوى ومنزلا واتم استقرارا وافضل راحة من حال المشركين في النار.

و (المستقر): هو مكانا يستقرون فيه اكثر الوقت للجلوس والمحادثة.

و(المقيل) هو مكانا يؤوى اليه للقيلولة والراحة: وهي الاستراحة نصف النهار في الحر تشبيها بمكان القيلولة في الدنيا، اذ لا نوم في الجنة،ولكن جاء هذا التشبيه ليبين ذلك في احسن رمز الى ما يتميز به مقيلهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الازمنة والامكنة.[٣٢]

وهذا ايضا يدل على ان انتهاء حساب الخلائق في نصف يوم،كما ورد في الحديث :(ان الله تبارك وتعالى يفرغ من حساب الخلق في مقدار نصف يوم، فيقيل اهل الجنة في الجنة، واهل النار في النار).[٣٣]

ونظير الاية- قوله تعالى: (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون*هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون).[٣٤]

فالله سبحانه وتعالى بين حال الكفار وانهم في الخسران الكلي والخيبة التامة،تنبيها على ان المؤمنين في الاخرة في الفردوس والنعيم المقيم،والكفار في دركات الجحيم،فالسعادة كل السعادة في طاعة الله عز وجل...

---

[٣١]ينظر: التحرير والتنوير-لابن عاشور ٩/١٩.

[٣٢]ينظر: انوار التنزيل واسرار التاويل-للبيضاوي، ٩٢/٤،والتحرير والتنوير-لابن عاشور، ٩/١٩.

[٣٣]صحيح البخاري-البخاري ٤٥٨/٩.

[٣٤]يس : الايتان ٥٥-٥٦.